مقدمات كتب الفقه- دراسة نظرية تطبيقية

أ. منيرة بنت عبد الله بن سعيد آل مسعود القحطاني*

سلم البحث في ١٤٤١/٣/٥هـ بسم الله الرحمن الرحيم اعتمد للنشر في ١٤٤١/٤/٨هـ

ملخص البحث:

مقدمات كتب الفقه لها أهمية كبيرة، فهي تبين حقيقة موضوع الكتاب، واسم مؤلفه، والمنهج الذي اتبعه في إعداده، وظروف تأليفه، ومدى أهميته لقارئه، والعلاقة بينه وبين غيره من مؤلفات تناولت ما تناوله من موضوعات، كما تبين طبيعته، أن كان مختصرا أو شرحا، أو تعليقا أو حاشية لغيره، وتبين كذلك الهدف من تأليفه، والمذهب الذي تبين آراء أصحابه في مسائل الفقه المختلفة، وقد تبين معنى بعض الرموز الواردة في ثنايا الكتاب، وأنها اختصار لاسم صاحب رأي أو اسم كتاب، أو مذهب، أو نحو ذلك مما يتبينه المستعرض لمقدمات كتب الفقه الإسلامي.

Abstract:

Introductions to the jurisprudence books are of great importance, they show the truth of the subject of the book, the name of the author, and the approach followed in its preparation, and the circumstances of its composition, and the importance of his reader, and the relationship between him and other writings dealt with the topics covered, as it shows the nature, that was brief or explanation , Or commentary or a footnote to others, as well as show the purpose of its author, and the doctrine, which shows the views of his companions in matters of different jurisprudence, has shown the meaning of some of the symbols contained in the folds of the book, and it is abbreviated to the name of his opinion or the name of a book, or doctrine, or so as indicated by Browser introductions to Islamic jurisprudence books.

المقدمة:

الحمد لله المحمود في مقدمات الأمور، الأول الذي ليس قبله شيء الآخر الذي ليس بعده شيء، والصلاة والسلام على المقدم على الخلق سيد المرسلين محمد الهادي الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن اهتدى بهداه إلى يوم الدين، وبعد: فمما لا شك فيه أن مقدمات الكتب لها أهمية كبرى منذ زمن بعيد، لذلك نجد كثيرا من الفقهاء قديما عندما يتولون المتون بالشرح فإنهم لا يهملون المقدمات بل إنهم يشرحونها شرحا دقيقا، وقد أخطأ من ظن أنه أضاف جديدا في عناصر المقدمة في العصر الحديث لم يكن موجودا عند السابقين.

* معيدة بقسم الدراسات الإسلامية، جامعة جدة، المملكة العربية السعودية.

ونظرا لما تقدم اخترت أن يكون عنوان بحثي هو "مقدمات كتب الفقه". وقد نبهني الله لأهمية المقدمات، كما تنبه لها غيري منذ زمن بعيد جدا، فهي بمنزلة الرأس من الجسد، ولابد من قراءتها في الكتب عموما وفي كتب الفقه خصوصا للتعرف على خلاصة الكتاب، وحتى تتم الفائدة المرجوة من قراءة الكتاب بطريقة نافعة. وعلى الرغم من أهمية هذا الموضوع إلا أنه مازال على حد علمي لم يتم البحث فيه بشكل مستقل متخصص في كتب الفقه وإن كان ورد ضمن دراسات مهتمة بكتابة البحث العلمي وصياغته منها:

- البحث الفقهي طبيعته وخصائصه وأصوله ومصادره، للدكتور إسماعيل سالم عبد العال، وقد تكلم عن مقدمة البحث بشكل مختصر جدا لا يتجاوز الصفحة.
- كتابة البحث العلمي ومصادر الدراسات الفقهية، للدكتور عبد الوهاب إبراهيم أبو سليمان، وقد تكلم عن مقدمة البحث بشكل أوسع قليلا من سابقه. وهو أحد مراجع هذا البحث.
- البحث العلمي حقيقته، ومصادره، ومادته، ومناهجه، وكتابته، وطباعته ومناقشته، للدكتور عبد العزيز بن عبد الرحمن بن علي الربيعة، وقد تكلم عن مقدمة البحث بطريقة موسعة أكثر من السابقين. وهو أيضا من مراجع البحث.
- مقدمة الكتاب في التراث وهاجس الإبداع، للدكتور عباس أرحيلة، وهو بحث فريد من نوعه، وقد استفدت منه كثيرا خلال كتابتي لهذا البحث، وإن كان موسعا جدا بحيث تكلم عن كتب التراث عموما ولكنه استشهد في بعض المواضع بمقدمات كتب الفقه.

أحببت أن أدلو بدلوي في هذا الموضوع، مستعينة بالله وأسأله التوفيق والسداد، خاصة أن هذا الموضوع لم يوفى حقه من الدراسة والبحث.

وقد انتظم عقد هذا البحث في مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث كالتالي:

التمهيد: في أنواع المقدمات.

المبحث الأول: المراد بمقدمات الكتب، وتحته مطلبان:

المطلب الأول: تعريف المقدمة لغة.

المطلب الثاني: تعريف مقدمات الكتب.

المبحث الثاني: مكان مقدمة الكتاب والفائدة من قراءتها، وتحته مطلبان:

المطلب الأول: مكان المقدمة ووقت كتابتها.

المطلب الثاني: الفائدة من قراءة المقدمات.

المبحث الثالث: المنهج العام في كتابة المقدمات قديما وحديثا، وتحته مطلبان:

المطلب الأول: العناصر التي تشتمل عليها المقدمة في التراث الإسلامي.

المطلب الثاني: العناصر التي تشتمل عليها المقدمة في العصر الحديث.

هذا بالنسبة للجانب النظري للبحث.

أما الجانب التطبيقي فقد تم التطبيق على ثلاث مقدمات في المذهب الحنفي ثم المالكي ثم الشافعي ثم الحنبلي.

ثم الخاتمة وفيها أهم نتائج البحث والتوصيات.

وكان منهجي في البحث كالتالي:

١.توثيق ما ينقل من كلام وعزوه إلى مصادره.

٢.عزو الآيات القرآنية: اسم السورة ورقم الآية.

٣.تخريج الأحاديث النبوية الواردة في البحث وبيان درجتها إن كانت في غير الصحيحين.

٤.ترجمة الأعلام إن وجدت في مظانها، والأعلام المترجم لهم هم أهل السبق في عناصر المقدمات التي تعرض لي خلال البحث.

٥.في الجانب التطبيقي لم يتم الترجمة للأعلام، وإنما اكتفيت بذكر وفيات المؤلفين.

٦.عرض أهم نتائج البحث في الخاتمة.

هذه هي الطريقة التي سلكتها في بحث هذا الموضوع بناء على الخطة التي رسمتها سابقا. وقد واجهت في هذا البحث صعوبة الحصول على المراجع نظرا لقلة الكتابة في هذا الموضوع كما أسلفت، وأرجو الله أن أكون قد وفقت في الاختيار والتنظيم والعرض.

وأحسب أني قد بذلت جهدي، وهذا جهد البشر يعتريه النقص، فإن أصبت فمن الله وحده له الفضل أولا وآخرا، وإن كان غير ذلك فمن نفسي والشيطان.

كما أرجو الله أن ينفع به، وأن يجعله خالصا لوجهه الكريم.

التمهيد: في أنواع المقدمات:

قبل الدخول إلى مفهوم المقدمة ينبغي الوقوف عند مفهوم مقدمة الفن ومقدمة الكتاب، فالمقدمة نوعان: مقدمة فنّ، ومقدمة كتاب.

فمقدمة الفن: هي ما يتوقف عليه الشروع في الفن، كمعرفة حدّه وموضوعه وغايته؛ لأنه لابد من تصور شامل لأي فن قبل الدخول فيه، فمن لم يتصور الفن

بتعريف جامع لجميع مسائله مانع لغيره من الدخول فيه، لا يتصور طلبه لخصوص ذلك الفن؛ لعدم التمييز بينه وبين غيره مثلا؛ لأنه لا يميز الداخل في الفن من الخارج عنه، فعُلم أن تعريفه مثلا مما يتوقف عليه الشروع فيه.

أما **مقدمة الكتاب**، فهي أعم مطلقا من مقدمة الفن، وهي (أي مقدمة الكتاب) ما قدم أمام المطلوب، لارتباط بينهما توقف على معرفته الشروع في المطلوب.[1]

وقد أضيف في هذا العصر مع ظهور تحقيق الكتب مقدمة ثالثة وهي مقدمة التحقيق التي يتناول فيها المحقق بالدراسة ثلاثة عناصر: التعريف بصاحب الكتاب–التقديم العلمي للكتاب المُحقق– منهج التحقيق وما يتبع ذلك.[2]

المبحث الأول
المراد بمقدمات الكتب
المطلب الأول: تعريف المقدمة لغة

مُقدِّمة الجيش: هي من قَدَّم بمعنى تَقدَّم، ومنه قولهم: المُقدِّمة والنَّتيجة، المُقَدِّمة: ما استقبلك من الجبهة والجبين. والمُقَدِّمة: الناصية والجَبهة، وقد استعير لكل شيء فقيل: مُقَدِّمة الكتاب ومُقدِّمة الكلام بكسر الدال، قال: وقد تفتح. وقيل: مُقدِّمةُ كل شيء أَوله ومُقَدَّم كل شيء نقيض مؤخره.[3]

المطلب الثاني: تعريف مقدمات الكتب

"مقدمة الكتاب: طائفة من الألفاظ قدمت أمام المقصود؛ لدلالتها على ما ينفع في تحصيل المقصود، سواء كان مما يتوقف المقصود عليه فيكون مقدمة العلم أو لا فيكون من معاني مقدمة الكتاب من غير أن يكون مقدمة العلم".[4]

وبناء على ذلك نحتاج للتفريق بين مقدمة الكتاب ومقدمة العلم، فمقدمة الكتاب هي السابق تعريفها أما مقدمة العلم فهي ما يتوقف عليه مسائل ذلك العلم وتفصيله وقواعده [5]، مثلا نقول مقدمة علم النحو، مقدمة أصول الفقه.

وتجدر الإشارة إلى أن أول من استعمل مصطلح المقدمة هو الجاحظ[6]، وأول من استعمل عبارة مقدمة الكتاب هو الزمخشري[7].[8]

المبحث الثاني
مكان مقدمة الكتاب والفائدة من قراءتها
المطلب الأول: مكان المقدمة ووقت كتابتها

مكان المقدمة واضح من مسماها وهو في أول الكتاب.

أما وقت كتابة المقدمة هو بعد الانتهاء من كتابة الكتاب أو البحث وما يتبعه

من ملحقات –إن وجدت– وما اعتمد عليه من مصادر؛ وذلك لأن المقدمة رسم للمعالم الرئيسية للكتاب في صورته النهائية، وهي لا يكتمل تبينها للكتب إلا بعد انتهائه من كتابة الكتاب.[٩]

قال صاحب كتاب المجموع: "ومن المصنفين من يترك موضع الخطبة بياضا فإذا فرغ ذكرها... لتكون عبارته في الخطبة موافقة لما ذكره"[١٠].

المطلب الثاني: الفائدة من قراءة المقدمات

"منزلة هذه المقدمات من كل كلام مؤلف منزلة الرأس من الجسد، والأساس من البناء، وكما أن الرأس يضم أعضاء الجسد ويرأسها، كذلك المقدمة التي يقدمها المنشئ في صدر كلامه تضم ما تتبعه ويقع في ضمنه، وكما أن الباني لابد له من وضع أساس لما يبنيه يعتمد عليه ويستند إليه، كذلك مؤلف الكلام لا يغني عن تقديم مقدمة يتطرق منها إلى ما يروم التأليف فيه؛ لأن كل كلام لا يخلو من فرش يفرش قبله غير داخل في حكم الكلام المنظوم"[١١]

البعض يبدأ بقراءة الكتب من المنتصف متجاهلا مقدمة الكتاب، ونبذة عن مؤلفة؛ لأنه يرى أنها غير مهمة!، فهذا كأنه ولج إلى الكتاب دون استئذان. والحقيقة أن مقدمات الكتب عبارة عن بطاقة تعريفية لما يحتويه الكتاب، فهي مهمة ولها فائدة عظيمة، فالمقدمة في نظري المدخل المبسط لفهم الكتاب، وعقلية صاحبه، وهي بمثابة فاتح الشهية؛ للتعرف أكثر على مضمون الكتاب، ومعرفة هدف الكاتب من تصنيفه، والأسباب التي دعت لتصنيفه، فتتعرف على موضوع الكتاب وتستوعبه قبل الشروع في قراءته، فتتحقق الفائدة المرجوة من الكتاب.

فالمقدمة إذن هي مطلع الكتاب، والواجهة الأولى له، فلابد أن تبدأ قوية مشرقة، متسلسلة الأفكار، واضحة الأسلوب، متماسكة المعاني، تستميل القارئ، وتجذب انتباهه.[١٢]

ولهذا وجب في كتابتها العناية بالأفكار قوة ووضوحا، وترتيبا وتسلسلا، وبخطة البحث دقة وترتيبا، وبما يوضع في المقدمة من نقاط شمولا لها وترتيبا.

ووجب في كتابتها العناية بالألفاظ فصاحة ووضوحا، وبالأسلوب قوة ووضوحا، وسلاسة وتشويقا للقارئ.[١٣]

وقد تنبه بعض النقاد إلى أهمية المقدمات في التراث الإسلامي، ومنهم الكاتب والمفكر المغربي الدكتور عباس أرحلية في كتابه "مقدمة الكتاب في التراث

الإسلامي وهاجس الإبداع "[١٤].

يقول الأستاذ عباس أرحيلة: إن الاهتمام بالمقدمات موجود منذ زمن بعيد، وقد خصها العلماء بالشروح في القديم، وصارت من اهتمامات النقد الحديث.[١٥]

ويمكن القول أن لها وظائف أربعة:

١.وظيفة الإخبار إذ أنها تنبئ عن المقصود فتضع القارئ في الموضع المناسب لاستقبال الكتاب.

٢.وظيفة التوجيه (المنهج، التصميم، وتحديد محتويات الكتاب إلى جانب حضور النزعة التعليمية لتوجيه الفكر والسلوك).

٣.وظيفة الكشف (عن طبيعة العمل ونوعه وظروف إنتاجه).

٤.وظيفة الاستدراج (ربط القارئ بمشروع الكتاب وجعله حاضرا ومتتبعا لإنتاجه).[١٦]

والخلاصة أن دراسة المقدمة في التراث الإسلامي عمل مفيد وضروري،وذلك للاستفادة من مقدمات الأسلاف والسابقين، وخاصة فيما يتعلق بهاجس الإبداع الذي من دونه لا يستقيم البحث العلمـي.[١٧]

المبحث الثالث
المنهج العام في كتابة المقدمات قديما وحديثا:
المطلب الأول
العناصر التي تشتمل عليها المقدمة في التراث الإسلامي

هناك ثمانية أمور لابد أن تشتمل عليها مقدمة الكتاب، أربعة منها واجبة وأربعة مستحبة، والمراد الإيجاب الصناعي وليس الشرعي، يعني يجب صناعة عند المؤلفين، أن يشتمل الكتاب في مقدمته على أربعة أمور وهي: البسملة. والحمدلة. والصلاة والسلام على النبي ﷺ، والتشهد، والأمور المستحبة هي: تسمية نفسه، وتسمية كتابه، وبراعة الاستهلال، والبعدية.[١٨]

أولا: البسملة:

وهي قول بسم الله الرحمن الرحيم[١٩]. كانت قريش قبل البعثة تكتب في أول كتبها باسمك اللهم، ثم لم تزل الكتب تفتتح باسمك اللهم حتى نزل قوله تعالى: ﴿إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم﴾[٢٠] فاستفتح بها رسول الله وصارت سنة بعده. "واتفقوا على كتب ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ في أول الكتب والرسائل، وعلى ختمها؛ لأنه أبعد من الريبة".[٢١]، والرسول ﷺ حث على البداءة في كل أمر بالتسمية، وقد كان ﷺ يفتتح رسائله بالبسملة مثل رسالته إلى هرقل حيث ورد فيها (بِسْمِ اللَّهِ

الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ إلى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ، سَلاَمٌ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى أَمَّا بَعْدُ)[٢٢].

وبناء على ما ورد في كتاب الله اعتُبر سليمان بن داود عليه السلام أول من افتتح كتابه ببسم الله.[٢٣]

وغالب كتب الفقهاء قديما وحديثا تبدأ مقدماتها ببسم الله الرحمن الرحيم كما سنرى ذلك في الجانب التطبيقي لهذا البحث.

وينبغي للكاتب أن يحسنها عند الكتابة تعظيما لله وتعالى، ويقدمها،ويفردها في سطر واحد، وأما ما يجب من ترتيبها، فأول ما يجب من ذلك إطالة الباء لتدل على الألف المحذوفة منها لكثرة الاستعمال، ثم إثبات السين بأسنانها الثلاث غير مرسل لها إرسالا كما يفعله بعض الكتاب فقد كره ذلك أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب رضي الله عنه.[٢٤]

ثانيا: الحمدلة:

وهي قول الحمد لله.[٢٥] يراد من إثبات الحمد اللغوي في ديباجة الكتاب في الثقافة الإسلامية في ثقافة المسلمين الثناء عليه بما هو أهله، بما فيه سبحانه من أوصاف الجلال والكمال، والحمد أعم من الشكر؛ لأنه شكر وزيادة.[٢٦]

"وقد يستعمل الحمد بصيغة الفعل كقولهم في المكاتبات فإني أحمد إليك الله وقد اختلف في أي الصيغتين أبلغ صيغة الحمد لله أو صيغة أحمد الله فذهب المحققون إلى أن صيغة الحمد لله أبلغ لما فيها من معنى الاستغراق والثبوت والاستمرار على ما هو مقرر في علم المعاني".[٢٧]

ومن محبته سبحانه لحمده والثناء عليه، أنه جعل حمده مفتاح كل كلام ذي بال، وافتتح كتابه الكريم بحمده، والمسلمين في صلاتهم وخطبهم كلها افتتاحها بالحمد، حتى خطبة الحاجة، وأول من يدعى إلى الجنة الحامدون، والنبي يوم القيامة بيده لواء الحمد، فخص اللواء بالحمد؛ لأنه أحب شيء إلى الله، واشتق لأحب خلقه إليه، وألزمهم عليه من الحمد اسمين يتضمنان كثرة حمده وفضله وهما محمد وأحمد، وسمى أمته الحامدين، وأخبر النبي أن أفضل الدعاء الحمد.[٢٨]

والابتداء بحمد الله؛ لأن النفوس تتشوف للثناء على الله فهو داعي إلى الاستماع.[٢٩]

ويأتي الكتَّاب بالحمد بعد البسملة تأسيا بكتاب الله، والتحميد في التأليف

عموما ابتدأ من القرآن الكريم، ثم انتقل إلى كتابة الرسائل مع عبد الحميد الكاتب[٣٠]، الذي أطال التحميدات، ومن ذلك انتقل إلى مقدمات الكتب عامة، فأصبح الحمد لله بدء كل مقال.[٣١]

وفي مجال الخطابة ذكر الجاحظ: أن خطباء السلف الطيب وأهل البيان من التابعين بإحسان ما زالوا يسمون الخطبة التي لم يبتدئ صاحبها بالتحميد ويستفتح كلامه بالتمجيد البتراء.[٣٢]

ثالثا: الصلاة والسلام على النبي ﷺ:

المراد بالصلاة على النبي في مقدمة الكتاب: أن يصلي المؤلف على النبي ﷺ. وقد حث الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم على الصلاة والسلام على نبيه الكريم، فقال سبحانه وتعالى: ﴿إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما﴾[٣٣] أي" اقتداء باللّه وملائكته، وجزاء له على بعض حقوقه عليكم، وتكميلا لإيمانكم، وتعظيمًا له ﷺ، ومحبة وإكرامًا، وزيادة في حسناتكم، وتكفيرًا من سيئاتكم".[٣٤]

فإذا أتي بالحمد في أول الكتاب، ناسب أن يؤتى بالصلاة على النبي ﷺ في أوله، إتيانا بذكره بعد ذكر الله تعالى. ونجد الصلاة على النبي ﷺ ترد بصيغ وألفاظ أبدع فيها أصحابها في مقدمات كتب السيرة النبوية، وفي مقدمة كتب الحديث الشريف بشكل خاص. وعادة يأتي المؤلف بعد ذلك بالتسليم على الآل والأصحاب.[٣٥]

ولم يكن بدء الكتب بالصلاة على رسول الله ﷺ في ابتداء الإسلام وزمن الخلفاء الراشدين، وأول من زاد في الكتابة بعد حمد الله الصلاة على رسول الله.

هارون الرشيد[٣٦]: كان إذا كتب فأتى أحمد الله إليك، كتب: وأسأله أن يصلي على محمد وآله، قالوا: وكان ذلك من أفضل مناقبه.[٣٧]

رابعا: التشهد:

التَّشَهُّد قراءَة التحياتُ للهِ، واشتقاقه من «أَشهد أَن لا إله إلا الله وأَشهد أَن محمداً عبده ورسوله»، وهو تَفَعُّلٌ من الشهادة.[٣٨]

"وقد جرت عادة المتأخرين بالإتيان بالتشهد بعد التحميد في الخطب، ويكون تابعا لصيغة التحميد، فإن كان قد قيل يحمده أمير المؤمنين قيل بعده ويشهد، وإن كان قد قيل نحمده قيل بعده ونشهد، وإن كان بعد حمد الله قيل والشهادة له بالجر عطفا على حمد على أن الخطب الموجودة في مكاتبات المتقدمين لا تشهد فيها".[٣٩]

خامسا: تسمية نفسه:

بمعنى أنه قد يعرف المؤلف باسمه، وبنفسه في مقدمة كتابه. وقد ذكر المؤلف اسمه منذ العهود الأولى في التأليف، ويبدو أن ذلك لم يصبح مطردا إلا منذ القرن السادس للهجرة. وشار إلى ذلك عادة بعد "أما بعد"، فيقال: أما بعد، يقول فلان بن فلان.[٤٠]

سادسا: تسمية كتابه:

بمعنى أن يذكر المؤلف في مقدمة كتابه مسمى الكتاب الذي يقدمه، فيذكر في المقدمة مثلا: وهذا كتابي سميته كذا. وقد يثني على كتابه ويبين مميزاته.

ويقول دكتور عباس أرحيلة: مما لا تخلو منه مقدمة إلا نادرا عنوان الكتاب. ونقل عن د. الحلوجي أن العرب لم يعرفوا صفحة العنوان في أول عهدهم بصناعة الكتب؛كما اتضح ذلك من خلال المخطوطات التي بين أيدينا؛ فكان العنوان يأتي في سياق المقدمة وفي نهاية المخطوط، ولم يكن يتميز عن النص بخطه أو لون مداده. ووضعه في نسخة مستقلة، وتمييزه بخط مغاير، من الأمور التي جدت مع تطور النساخة.

ونقل عن عبد الفتاح أبو غدة، أن للمؤلفين عناية خاصة باختيار أسماء كتبهم، ورأى أن ذلك يحتل من اهتمامهم المقام الأول؛ لأن عنوان الكتاب هو الدال على ما فيه، وبعنوان الكتاب يعرف مكانه من العلم الذي ألف فيه، حاجة إليه أو استغناء عنه بغيره، وذكر أنه في الغالب يصاغ صياغة التعريف فيكون جامعا مانعا.[٤١]

سابعا: براعة الاستهلال:

أحسن الابتداءات ما ناسب المقصود ويسمى: براعة الاستهلال. بمعنى أن يكون الابتداء مناسبا للمقصود، من برع الرجل: إذا فاق أصحابه في العلم، سمي هذا النوع براعة الاستهلال؛ لأن المتكلم يفهم غرضه من كلامه عند ابتداء رفع صوته به، ورفع الصوت في اللغة هو: الاستهلال، يقال استهل المولود صارخا إذا رفع صوته عند الولادة.

وأهل الحجيج إذا رفعوا أصواتهم بالتلبية، وسمي الهلال هلالا لأن الناس يرفعون أصواتهم عند رؤيته.[٤٢]

"وهو من أرقّ فنون البلاغة وأرشقها، وحدّه: أن يبتدئ المتكلم كلامه بما يشير

إلى الغرض المقصود من غير تصريح بل بإشارة لطيفة، وإيماءة بعيدة أو قريبة"[٤٣]

ومقدمة الكتاب إذا كانت مناسبة لموضوع الكتاب فإن ذلك يهيئ الناظر فيه لمعرفة ما فيه، ويصور له بعبارة موجزة زبدة الموضوع أو الرسالة. وتكمن براعة الكاتب في القدرة على الدخول في موضوع الكتاب دون أن يشعر القارئ بذلك.

وإن لم تكن براعة الخطبة أو الرسالة أو صدر الكتاب المصنف دالة على غرض المنشئ وإلا فليست ببراعة استهلال.[٤٤]

والغرض منها شد وجذب القارئ أو المتلقي حتى يواصل قراءة الموضوع إلى آخره ولا يكتفي بطرف منه فقط، وهي قدرات تتفاوت من مؤلف إلى آخر بحسب ما يفتح الله سبحانه وتعالى عليه وييسره له.

ولبراعة الاستهلال أثرها في تدعيم موقف المؤلف، وغرس الثقة في نفسه، ليتابع طرح موضوعه بكمال القوة والثبات.[٤٥]

وقد اهتم القرآن الكريم بهذا الأسلوب في مطالع السور، وبداياتها، وتأمل قول الله تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى﴾[٤٦]، "ففي استفتاح قصة موسى عليه السلام بهذا السؤال الذي فيه تشويقٌ، وإثارةٌ لذهن السامع براعة استهلال"[٤٧]، مع أن الجملة قصيرة، لكن لها معنى قوي، "وفائدة هذا الاستفهام: التنبيه على جلالة القصة المستفهم عنها؛ ليكون داعياً إلى الإصغاء لها والاعتبار بها"[٤٨]، ويستفاد منه بأن يطرح المؤلف قضيته على صورة الاستفسار، أو السؤال، وقد سلك عامَّةُ العلماء والأدباء هذا الأسلوب في مؤلَّفاتهم، وذلك بوضع مقدِّمة مشوقة بين يدي الموضوع.

وينبغي للمؤلف أن يراعي في براعة الاستهلال البعد عن التكلف الممقوت، والتقعر في الألفاظ، بل لابد أن تكون ألفاظه سهله بليغة؛ حتى تكون أقرب إلى نفس المتلقي.

ثامنا: البعدية:

من آثار الخطابة وأدب الترسُّل في الثقافة العربية، أصبح في مجال تأليف الكتاب في الثقافة الإسلامية، يُفْصَلُ بين ديباجة الكتاب (البسملة، والحمدلة، والصلاة على النبي ﷺ) وباقي المقدمة بالبعدية، أي بـ"أما بعد" أو "وبعدُ"؛ وهما عبارتان مُعدَّتان للانتقال وتُؤْذِنان به إلى الغرض المقصود؛ ولذلك سُمِّيَتْ « أما بعد» بفصل الخطاب لفصلها الكلام الثاني عن الأول.

ومن الثابت في السيرة عن النبي ﷺ أنه كان يأتي بها في خطبه ومكاتباته،

كما هو واضح في نص الرسالة السابقة التي بعث بها إلى هرقل ملك الروم. وعقد الإمام البخاري في «صحيحه»، في كتاب صلاة الجمعة، باب من قال في الخطبة « أما بعد».[٤٩]

وعبارة (أما بعد) مركبة من لفظين: الأول: أمّا، والثاني: بعد. (أما) فلها معنى الشرط[٥٠]، (بعد) ظرف زمان مبني على الضم.

وقال صاحب كتاب الصناعتين: أنه كان الناس فيما مضى يستعملون في أول فصول الرسائل (أما بعد)، وقد تركها اليوم جماعة من الكتاب، فلا يكادون يستعملونها في شيء من كتبهم، وأرجع السبب إلى قول أحد الولاة: إنك تكثر الرد وتشير باليد وتستعين بأما بعد، فتحاموه لهذه الجهة، مع أنهم رووا في التفسير أن قول الله تعالى: ﴿وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب﴾[٥١] هو قوله: أما بعد فإن استعملته اتباعا للأسلاف ورغبة فيما جاء فيه من التأويل فهو حسن، وإن تركته توخيا لمطابقة أهل عصرك وكراهة للخروج عما أصلوه لم يكن ضائرا.[٥٢]

وقد اختلف في أول من قالها، وممن نُسبت إليه سحبان وائل، ولعل ذلك كان لقوله:

(لقد علم الحي اليماني أنني ** إذا قلت أما بعد أني خطيبها)

ويقال أول من قال: أما بعد داود النبي عليه السلام.[٥٣]

ولعل الغرض من قول أما بعد في رأيي هو استدعاء الإصغاء لما يقوله الكاتب،أو المتكلم فهي تشد انتباه السامع والقارئ لسماع ما بعدها.

تاسعا: عناصر أخرى:

ذكر الأستاذ عباس أرحيلة عناصر أخرى غير ما سبق منها:

١.**موضوع الكتاب:** بعد البعدية يذكر عادة موضوع البحث. وهو من الأصول الثابتة في مقدمات الكتب؛لأن أول ما يتطلع إليه القارئ هو أن يعرف موضوع الكتاب، ويلفت المؤلف النظر في العادة إلى أهميته وسبب تأليفه.

مثلا يقول صاحب كتاب معجم البلدان: "أما بعد، فهذا كتاب في أسماء البلدان، والجبال، والأدوية، والقيعان، والقرى، والمحال، والأوطان، والأنهار، والأصنام.."[٥٤].

٢.**أهمية الكتاب وفائدته والغاية منه:** أي الغرض من التأليف والفائدة المترتبة على تحصيل ذلك العلم. قد يفصح المؤلف عن أهمية ذلك العلم بعبارة مختصرة وقد يفيض

في الحديث عن ذلك مبينا أثر ذلك العلم في حياة الناس، كاشفا عن أهميته بأشكال مختلفة من الاستدلال من النقل والعقل، وهو ما يعرف بـ"مدح الفن".

ويمكن للباحث أن يستخلص موضوعات المعارف وما تحتويه من قضايا من خلال أحاديث المؤلفين عن أهمية الموضوعات التي هم بصدد معالجتها، أي أثناء مدحهم للفن الذي هو مجال القول.

مثلا يقول صاحب كتاب الأنساب: "ومعرفة الأنساب من أعظم النعم التي أكرم الله تعالى بها عباده؛ لأن تشعب الأنساب على افتراق القبائل والطوائف أحد الأسباب الممهدة لحصول الائتلاف، وكذلك اختلاف الألسنة والصور وتباين الألوان والفطر"[٥٥].

٣. **التصميم:** بمعنى بيان كيفية تبويب الكتاب وتفصيله، ولكن المؤلفين يتفننون في وضع تفصيلات للموضوع، وهذا التصميم للكتاب أسموه القسمة.

وقد عرفها صاحب أبجد العلوم فقال: "وهي بيان أجزاء العلم وأبوابه ليطلب المتعلم في كل باب منها ما يتعلق به، ولا يضيع وقته في تحصيل مطالب لا تتعلق به، كما يقال: أبواب المنطق تسعة كذا وكذا. وهذا قسمة العلم وقسمة الكتاب كما يقال: كتابنا هذا مرتب على مقدمة بابين وخاتمة"[٥٦].

وعلماء الحديث والفقه لهم الباع الأكبر في مجال التبويب في تاريخ التأليف عند المسلمين، مما لم يتحقق في أي تأليف آخر. فمثلا الموطأ رتبه الإمام مالك على أبواب الفقه مبتدئا بالعبادات فالمعاملات.

ويبين صاحب كتاب المستصفى أهمية التبويب في مقدمة الكتاب فيقول: "وأتيت فيه بترتيب لطيف عجيب، يطلع الناظر في أول وهلة على جميع مقاصد هذا العلم، ويفيده الاحتواء على جميع مسارح النظر فيه؛ فكل علم لا يستولي الطالب في ابتداء نظره على مجامعه ومبانيه، فلا مطمع له في الظفر بأسراره ومباغيه"[٥٧].

٤.**دعاء الاختتام:** قد يرد الدعاء في بداية الكتاب كما نجد في كتب الجاحظ، وكثيرا ما يأتي الدعاء أثناء الحمدلة، لأن المؤلف يذكر فيها آلاء الله تعالى ونعمه على خلقه.

٥.**استيعاب الأعمال السابقة ونقدها:** فهذا صاحب صفة الصفوة، ينتقد في مقدمة كتابه كتاب حلية الأولياء لأبي نعيم، فيقول عن صاحبه: إنه قد تكدر بعشرة أشياء أوردها، وأنهى نقده بقوله: "وهذا خلل في صناعة التأليف؛ وإنما ينبغي للمصنف أن

ينتقي فيتوقى، ولا يكون كحاطب ليل؛ فالنطاف تروي لا البحر".[٥٨]

٦.**الأمانة العلمية:** فقد كان السابقين رحمهم الله لديهم هاجس الأمانة العلمية، واعتماد العزو ورد كل شيء إلى أصله ومعدنه، وذكر المصدر المأخوذ عنه. وهذا من آثار علمي الحديث والفقه في تاريخ التأليف عند المسلمين؛ إذ الأسانيد فيهما هي الأساس في مادة البحث. وقد درج كثير من المصنفين على ذكر مصادرهم في مقدمات كتبهم. فهذا صاحب الجامع لأحكام القرآن يقول في مقدمة كتابه: " وشرطي في هذا الكتاب: إضافة الأقوال إلى قائليها والأحاديث إلى مصنفيها؛ فإنه يقال: من بركة العلم أن يضاف القول إلى قائله"[٥٩]

٧.**المنهج:** وهو الذي يرسم الطريق الذي ينبغي سلوكه لتحصيل الغاية من التأليف. ولا يتسنى للقارئ فهم الكتاب، والخروج بالفائدة المرجوة منه؛ إلا إذا كان على بينة من منهجه، والطريق الواصل إلى فتح مغاليق ما خفي من موضوعه. وفي المقدمة يتولى المؤلف بيان منهجه، فيكون هو المدخل السليم لقراءة الكتاب. وهذا الذي يكشف لنا أهمية قراءة مقدمات الكتب والاطلاع عليها.[٦٠]

المطلب الثاني: العناصر التي تشتمل عليها المقدمة في العصر الحديث

اهتم كثير من الباحثين في التأليف وكتابة البحوث العلمية ببيان ما ينبغي أن يوضع في مقدمة الكتاب أو البحث العلمي، فذكروا بعض العناصر أجملها فيما يلي[٦١]:

١.البدء بالبسملة ثم حمد الله والثناء عليه والاستعانة، والصلاة والسلام على محمد، كما ورد ذلك في كتب التراث.

٢.الاستفتاح المناسب للموضوع. ولعله ما يسمى عند البلاغيين ببراعة الاستهلال التي وضحتها سابقا.

٣.الإعلان عن الموضوع والتعريف به في ضوء المسائل والأمور التي سيناقشها.

٤.الإشارة إلى قيمة الموضوع، وأهميته.

فيذكر الكاتب أهمية الموضوع الذي تطرق بالنسبة للموضوع الذي يندرج موضوع الكتاب تحت مفرداته، وبالنسبة للموضوع العام الذي يجري فيه البحث، ويذكر الأسباب الأخرى المستمدة من جوانب أخرى يتبين بها أهمية هذا الموضوع. وأقول أن هذا الأمر وإن لم يذكر مع الرؤوس الثمانية للمقدمة التي ذكرتها سابقا إلا أني لاحظت أن كثيرا من الفقهاء القدماء يتطرقون لذلك في مقدماتهم.

٥.شرح الأسباب التي أدت إلى الاهتمام بهذا الموضوع بالذات، أو بجانب من جوانبه.
٦.التنويه للقارئ عن الآفاق المتعددة للبحث غير الجانب الذي جرى عليه البحث أو الدراسة.
٧.أهداف البحث في الموضوع. والأهداف تكون مستوحاة من الأسباب الداعية لبحث الموضوع، وهناك أهداف أخرى تتعلق بالكاتب نفسه، من أنه يتخذ البحث مجالا للمتعة العقلية، أو التأمل الفكري، أو النفع للآخرين.
٨.الخطة التي سيقام عليها بحث الموضوع. فيذكر الباحث الخطة التي سيقيم بحثه عليها، وهي جملة العناوين الرئيسية في البحث، من أبواب، وفصول، ومباحث، ومطالب، ومسائل؛ معللا ما يحتاج وضعه في هذه الخطة إلى تعليل، وبهذا يضمن الباحث سيره في بحثه على خطة مرسومة واضحة، ويمنع نقد من يعترض عليه بعدم بحث أمور لم ترد في الخطة.
٩.تحديد المنهج الذي سلكه الباحث في معالجة موضوعات البحث. فيرسم الباحث منهجه في بحث الموضوع الذي طرقه، من حيث جمع المادة العلمية، ومن حيث منهجه الفكري في الاستفادة من المادة العلمية مثلا (استنباطي، استقرائي، وصفي...إلخ)، ومن حيث منهجه في بحث التعريفات، وبحث المسائل الخلافية، ومن حيث منهجه في المصطلحات وما ورد في البحث من أسماء لمسائل من حيث بيان مدلولاتها، ومن حيث منهجه فيما يوضع في الحاشية، ومن حيث منهجه في الأحاديث (تخريجها، بيان درجتها، الحكم عليها)، ومن حيث منهجه في الأعلام الذين ورد ذكرهم في البحث من حيث الترجمة لهم أو عدم ذلك، ومن حيث منهجه في الآيات القرآنية والأبيات الشعرية، ومنهجه في الفهرسة إلى غير ذلك مما يحتاجه البحث.
١٠. الدراسات، والأعمال العلمية السابقة التي أسهمت في تطور الموضوع. "متى بدأت المشكلة، وما تطورها؟ ومن أي الزوايا درست؟ ومن هؤلاء الذين بحثوا فيها؟ وإلى أي حد انتهى بها الباحثون؟ ثم ما هي النقطة التي ستبدأ منها الدراسة الجديدة؛ لأنها لم تبحث أو لم تستوف بحثا من قبل ؟"[٦٢]

ويتبين بذلك ما أضافه الباحث من جديد في بحثه للموضوع، من خلال المقارنة بين ما توصل له، ونتائج الدراسات السابقة.
١١. بيان المصطلحات التي جرى استعمالها خلال عرض البحث، وبيان المقصود منها.

١٢. الجهد الذي بذله الباحث في بحث الموضوع. وفي هذا يذكر الباحث ما بذله من جهد في سبيل هذا البحث، سواء كان هذا الجهد فكريا، أم بدنيا، أم ماليا، معطيا خلاصة عن الطرق التي أمكن القيام بها، من أجل الحصول على النتائج.

١٣. الصعوبات التي واجهها الباحث خلا بحثه. فيتطرق للصعوبات التي واجهته في مراحل البحث المختلفة من بحث عن المصادر، وجمع للمادة، واستنباط منها....إلخ، ولا يفوته التطرق إلى الوسائل التي اتبعها للتغلب على هذه الصعوبات.

١٤. الشكر والتقدير لمن ساعد في إعداد البحث وإخراجه. ويرى البعض أن تكون في ورقة مستقلة، وسواء كانت في ورقة مستقلة، أم ضمن محتويات المقدمة، فإن لوجودها ما يبرره؛لأن الباحث كثيرا ما يحتاج من يساعده في بحثه سواء جهات أو هيئات أو أشخاص، ومن حق هؤلاء الاعتراف لهم بما قدموه من مساعدة، والشكر لهم بما بذلوه من عون؛إذ من لا يشكر الناس لا يشكر الله.

وأخيرا، على الكاتب أن يكون صادقا، متواضعا، متلمسا للصواب حيث وجد، فلا يدّعي ما لم يقم به، ولا يعجب بما وصل إليه ولا يتكبر، بل الخير أن يستحضر الإخلاص في سائر عمله، وأن يذكر أن جهده جهد بشر يعتريه النقص والقصور، ويطلب التقويم والتسديد ممن يملك ذلك.

هذه الأمور التي ينبغي أن توضع في المقدمة.

والمفروض في المقدمة أن تكون ذات صلة وثيقة بموضوع الكتاب، لأنها تعد البداية الحقيقية له، وأن تحرر في أسلوب علمي متين بحيث تكسب اهتمام القارئ، كما ينبغي أن تكون توضيحا لأفكار الكتاب وموضوعه، وإعطاء صورة مصغرة عنه، وترتيبها ترتيبا منطقيا يتذوقه القارئ من خلال استعراضه لها.

والقارئ لما سبق يجد أن المتأخرين لم يأتوا بجديد بالنسبة للمتقدمين، ولكنهم نظموها في عناصر معينة أما السابقين فقد كانت تعرض لهم عفوا.

الجانب التطبيقي من البحث

مقدمات مختارة من كتب الفقه في المذاهب الأربعة:

أولا: مقدمات في كتب الحنفية:

مثال١: مقدمة كتاب مختصر الطحاوي:

وهو كتاب في الفقه الحنفي، للإمام أبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي الحنفي المتوفى سنة ٣٢١هـ. ألفه لجمع الفقه الحنفي من خلال أقوال الإمام وصاحبيه.

مقدمة الكتاب:

"بسم الله الرحمن الرحيم. قال أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة (ابن سلمة) الأزدي المعروف بالطحاوي: بحمد الله أبتدي وإياه أستهدي، وأسأله أن يصلي على محمد عبده ورسوله، وخيرته من خلقه، صلى الله عليه وعلى آله وسلم"[٦٣].

يلاحظ أولا توفر الأمور الواجبة في عناصر المقدمة، فقد ذكر المؤلف البسملة ثم الحمدلة ثم الصلاة والسلام على رسول الله عدا أنه لم يذكر التشهد.

ومن العناصر المستحبة المتوفرة: تسمية المؤلف لنفسه.

ثم قال ﷺ:" أما بعد: فقد جمعت في كتابي هذا أصناف الفقه التي لا يسع جهلها ولا التخلف عن علمها، وبينت الجوابات عنها من قول أبي حنيفة النعمان بن ثابت ومن قول أبي يوسف يعقوب بن إبراهيم الأنصاري، وقول محمد بن الحسن الشيباني"[٦٤].

يلاحظ في هذا المقطع من المقدمة أولا: توفر عنصر مهم من عناصر المقدمة في كتب التراث وهو البعدية التي تكلمت عنها مسبقا ووضحت أنها مهمة لاستدعاء سمع القارئ. كما يلاحظ موضوع الكتاب والمنهج الذي سلكه في التأليف للكتاب من خلال مقدمته هذه؛ فهو يقول: أنه جمع أبواب الفقه من خلال أقوال أبي حنيفة، وصاحبيه أبي يوسف ومحمد بن الحسن، ومن هنا يبرز جانب مهم أيضا وهو هاجس الأمانة العلمية لدى المتقدمين في عزو الرأي إلى صاحبه. ومن يقرأ هذه المقدمة وهو لا يعرف مذهب الكتاب فإنه سيتعرف على ذلك من خلال هذه المقدمة.

ثم قال ﷺ: "التماسا للثواب من الله عز وجل في تقريب ذلك على ملتمسي تعليمه، والله اسأل التوفيق والتسديد. فأول ما أبتدئ بذكره من ذلك الطهارات"[٦٥].

هنا يتضح السبب لتأليفه ﷺ الكتاب وهو بعد طلب الثواب من الله هو التسهيل والتقريب على طلاب العلم. ويظهر بجلاء عنصر آخر مهم من عناصر المقدمة وهو دعاء الختم، وشيئا من تصميم الكتاب أو خطته كما نسميها الآن بذكره أول ما سيبدأ به كتابه وهو الطهارة.

ويلاحظ بالرغم من القصر النسبي لهذه المقدمة إلا أنها توافرت فيها الكثير من العناصر الهامة من المقدمة، التي ذكرتها ولا أرى تكرارها. ويلاحظ أيضا أن هذه المقدمة تفتقد عناصر أخرى مهمة منها براعة الاستهلال مثلا، فقد كانت العبارات مباشرة نوعا ما خالية من المحسنات وحسن الابتداءات، كما أن المؤلف لم يذكر اسم

الكتاب في المقدمة وإن كان هذا ليس من الأمور الواجبة لكنه مستحسن.

مثال٢: مقدمة كتاب المبسوط للسرخسي:

لمحمد بن أحمد بن أبي سهل السرخسي، المتوفى سنة٤٨٣هـ. أملاه: من خاطره من غير مطالعة كتاب وهو في السجن بسبب كلمة كان فيها من الناصحين.

من مقدمة الكتاب: (سأكتفي بذكر مواضع الشاهد من المقدمة لطولها):

قال السرخسي ﷺ: "بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله بارئ النسم، ومحيي الرمم، ومجزل القسم، مبدع البدائع، وشارع الشرائع، دينا رضيا، ونورا مضيا؛ لتكليف المحجوجين، ووعد المؤتمرين، ووأد المعتدين، بينة للعالمين على لسان سيد المرسلين وإمام المتقين خاتم النبيين سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين، وعلى جميع الأنبياء والمرسلين وبعد"[٦٦].

يلاحظ بدء المؤلف بالبسملة ثم الحمدلة وتظهر فيها براعة الاستهلال من خلال سجعه للكلمات، ثم الصلاة على الرسول ﷺ، وبعد ذلك أتت البعدية. ثم قال: "فإن أقوى الفرائض بعد الإيمان بالله تعالى طلب العلم... والعلم علمان: علم التوحيد والصفات وعلم الفقه والشرائع.... وأما علم الفقه والشرائع فهو الخير الكثير كما قال الله عز وجل: ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً﴾[٦٧]. فقد جعل ولاية الإنذار والدعوة للفقهاء وهذه درجة الأنبياء تركوها ميراثا للعلماء... ولهذا اشتغل به أعلام الصحابة والتابعين ﷺ"[٦٨].

هنا نلاحظ الإمام رحمه الله تعالى يتحدث عن أهمية العلم وطلبه، ثم يتحدث عن علم الفقه خصوصا ويبين أفضلية الفقهاء وأنهم ورثة الأنبياء في ذلك وأنه كان مما اشتغل به الصحابة والتابعين.

ثم قال: "وأول من فرع فيه وألف وصنف سراج الأمة أبو حنيفة رحمة الله عليه بتوفيق من الله عز وجل خصه به، واتفاق من أصحاب اجتمعوا له، كأبي يوسف يعقوب بن إبراهيم بن خنيس الأنصاري رحمه الله تعالى... ومن فرغ نفسه لتصنيف ما فرعه أبو حنيفة ﷺ محمد بن الحسن الشيباني ﷺ"[٦٩].

يظهر هنا أنه ﷺ يذكر الأعمال السابقة في التأليف في الفقه الحنفي، حيث ذكر الإمام أبي حنيفة عن طريق ما أملاه على تلاميذه وأصحابه مثل أبي يوسف، وذكر أيضا محمد بن الحسن الذي صنف في فقه أبي حنيفة.

ثم قال ﷺ: "ثم إني رأيت في زماني بعض الإعراض عن الفقه من الطالبين؛

لأسباب فمنها قصور الهمم لبعضهم حتى اكتفوا بالخلافيات من المسائل الطوال، ومنها ترك النصيحة من بعض المدرسين بالتطويل عليهم بالنكات الطردية التي لا فقه تحتها، ومنها تطويل بعض المتكلمين بذكر ألفاظ الفلاسفة في شرح معاني الفقه، وخلط حدود كلامهم بها فرأيت الصواب في تأليف شرح المختصر لا أزيد على المعنى المؤثر في بيان كل مسألة اكتفاء بما هو المعتمد في كل باب، وقد انضم إلى ذلك سؤال بعض الخواص من أصحابي زمن حبسي حين ساعدوني لأنسى، أن أملي عليهم ذلك فأجبتهم إليه"[٧٠].

هنا يوضح المؤلف ﷺ الأسباب الداعية إلى تأليفه هذا المصنف، فذكر منها اكتفاء الدارسين بالخلافيات من المسائل الطوال، ومنها إسهاب بعض المدرسين فيما لا يتعلق بالفقه، وتطويل المتكلمين في شرح الفقه بألفاظ الفلاسفة، وسؤال الخواص من أصحابه أن يملي عليهم هذا الكتاب عندما كان في الحبس لينسى.

وذكر أيضا منهجه في تأليفه للكتاب أنه لا يزيد على المعنى المؤثر في بيانه لكل مسألة، وأنه اكتفى بالقول المعتمد في كل باب.

ثم قال: "وأسأل الله تعالى التوفيق للصواب والعصمة عن الخطأ وما يوجب العقاب وأن يجعل ما نويت فيما أمليت سببا لخلاصي في الدنيا ونجاتي في الآخرة إنه قريب مجيب"[٧١].

وفي هذا الجزء من المقدمة يظهر دعاء الختم وهو من العناصر المهمة في مقدمات كتب التراث، فهو يسأل الله التوفيق والإخلاص في العمل. هذه المقدمة رائعة اشتملت على عناصر متكاملة تقريبا وفي نظري أنها تتوفر فيها عناصر المقدمة الحديثة أيضا، وإن تقصت بعض العناصر فيها كالتشهد وتبويب الكتاب إلا أن ذلك لا يلغي جمالها وروعتها.

مثال٣: مقدمة كتاب بدائع الصنائع:

لعلاء الدين أبي بكر بن مسعود الكاساني، المتوفى سنة ٥٨٧هـ. وسبب التأليف وارد في المقدمة التالية.

من مقدمة الكتاب:

قال الكاساني ﷺ: "بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله العلي القادر القوي القاهر الرحيم الغافر الكريم الساتر ذي السلطان الظاهر والبرهان الباهر خالق كل شيء ومالك كل ميت وحي خلق فأحسن وصنع فأتقن وقدر فغفر وأبصر فستر وكرم

فعفى وحكم فأحفى عم فضله وإحسانه وتمت حجته وبرهانه وظهر أمره وسلطانه فسبحانه ما أعظم شأنه والصلاة والسلام على المبعوث بشيرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه....وعلى آله الأبرار وأصحابه المصطفين الأخيار وبعد"[٧٢].

يلاحظ هنا البسملة ثم الحمدلة وتظهر فيها براعة الاستهلال وحسن الابتداء ثم الصلاة والسلام ثم البعدية كما وضحتها سابقا.

ثم قال: "فإنه لا علم بعد العلم بالله وصفاته أشرف من علم الفقه وهو المسمى بعلم الحلال والحرام وعلم الشرائع والأحكام....والآثار في الحض على هذا النوع من العلم أكثر من أن تحصى، وقد كثر تصانيف مشايخنا في هذا الفن قديما وحديثا وكلهم أفادوا وأجادوا غير أنهم لم يصرفوا العناية إلى الترتيب في ذلك"[٧٣].

هنا بدأ ﷺ ببيان موضوع كتابه من خلال بيان فضل علم الفقه وشرفه، ثم يظهر عنصر جميل من عناصر المقدمة وهو نقد الأعمال السابقة واستيعابها حيث ذكر أنها اتسمت تفتقد الترتيب.

ثم قال ﷺ مبينا الغرض من تصنيفه: "إذ الغرض الأصلي والمقصود الكلي من التصنيف في كل فن من فنون العلم هو تيسير سبيل الوصول إلى المطلوب على الطالبين وتقريبه إلى أفهام المقتبسين".

بعد ذلك قال: "وجمعت في كتابي هذا جملاً من الفقه مرتبة بالترتيب الصناعي، والتأليف الحكمي الذي ترتضيه أرباب الصنعة، وتخضع له أهل الحكمة، مع إيراد الدلائل الجلية، والنكت القوية، بعبارات محكمة المباني، مؤدية المعاني، وسميته (بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع) إذ هي صنعة بديعة وترتيب عجيب، وترصيف غريب ن لتكون التسمية مطابقة للمعنى....فأستوفق الله تعالى لإتمام هذا الكتاب الذي هو غاية المراد والزاد المرتاد...والمأمول من فضله وكرمه أن يجعله وارثا في الغابرين ولسان صدق في الآخرين.....وهو خير مأمول وأكرم مسئول"[٧٤].

هنا يتضح المنهج الذي سلكه المؤلف في تأليفه، ويظهر عنصر آخر مهم وهو تسميته لكتابه وسبب تسميته حيث بين أنه صنعة بديعة وترتيب عجيب، ثم يأتي بعد ذلك دعاء الختم كعنصر من عناصر المقدمة في كتب التراث.

وهذه المقدمة مستوفية تقريبا لعناصر المقدمة الأساسية وإن كانت دون سابقتها في الإتقان وأيضا تنقصها عناصر مثل التشهد وتسمية المؤلف لنفسه ولكن هذا لا ينقص من إتقانها.

ثانيا: مقدمات في كتب المالكية:

مثال١: مقدمة كتاب البيان والتحصيل:

للقاضي الفقيه أبي الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي المتوفى سنة ٥٢٠هـ. كتاب من أمهات كتب الفقه المالكي، وقد عدّه المختصون بيانا شافيا، وتحصيلا كافيا، وشرحا وافيا، وتعليلا لمسائل كتاب «المستخرجة» . من أسمعة تلامذة الإمام مالك لمؤلف الراوية الفقيه محمد بن أحمد العتبي.

من مقدمة الكتاب:

قال ﷺ: "بسم الله الرحمن الرحيم. وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم. الحمد لله الكبير المتعال، العزيز المهيمن ذي العظمة والجلال، المنفرد بصفات الكمال، المنزه عما نحله أهل الزيغ والضلال، المعبود بكل مكان، والمسبح بكل لسان، في كل حين وأوان، مصرف الأزمنة والدهور، وجاعل الظلمات والنور، وباعث من في القبور يوم النشور، ليجازي المحسن بإحسانه الذي هداه إليه، ويعاقب المسيء على إساءته التي قدرها عليه،... ورفع فيها درجات من أراد به خيراً ففقهه في الدين، وجعله مقتفياً لآثار من سلف من الأئمة المهتدين،...وصلى الله على محمد نبي الرحمة، وصلى الله على محمد نبي الرحمة، والداعي إلى ربه وهادي الأمة، وخاتم النبيين، وسيد المرسلين، ورسول رب العالمين،....وعلى أزواجه وذريته وأهل بيته وجميع صحبه البررة الراشدين المهديين... أما بعد ما تقدم من حمد الله..."[٧٥].

يلاحظ هنا البدء بالبسملة وتقديم الصلاة على النبي على الحمدلة ثم تكرارها بعد الحمدلة، وتظهر براعة الاستهلال في صياغة التحميدات، وكذلك في الصلاة على النبي ﷺ وفي المقدمة عموما، وكذلك يظهر عنصر مهم هو البعدية، كما يلاحظ كذلك ذكر علم الفقه وعظم قدره وخيريته.

ثم قال: "فإن من أسباب الخير التي يسرها الله [تبارك وتعالى] من فضله، وسببها بمنه وطوله، أن دخل علي في صدر سنة ست وخمسمائة بعض الأصحاب من أهل جيان، وبعض الطلبة من أهل شلب يقرأ علي في كتاب الاستلحاق من العتبية، فمر في قراءته علي بحضرته بأول مسألة من سماع أشهب، وهي من المسائل المشكلة.... وسألني أن أبينها عليه ففعلت....فسر بذلك هو ومن حضر المجلس وقالوا:...فلو استخرجت المسائل المشكلات منها وشرحتها وبينتها لأبقيت بذلك أثرا.... فقلت: وأي المسائل هي المسائل المشكلات منها المفتقرة إلى الشرح

والبيان، من الجليات غير المشكلات التي لا تفتقر إلى كلام ولا تحتاج إلى شرح وبيان ؟! فقل مسألة منها وإن كانت جلية في ظاهرها، إلا وهي مفتقرة إلى التكلم على ما يخفى من باطنها"[٧٦].

هنا يوضح المؤلف سبب تأليفه للكتاب وهو طلب بعض الطلبة له أن يوضح لهم مشكلات العتبية بعد أن أعجبوا بتوضيحه لبعض المسائل فوجد انها كثيرة فدعاه ذلك لتأليف الكتاب.

ثم قال موضحا ترتيبه للكتاب: "ابدأ من أول مسألة من كتاب الوضوء...".

ثم قال ﷺ: "فتوقفت عن ذلك مدة مخافة العجز عن بلوغ الغرض والبغية فيه بتمامه، بقاطع يحول دون إكماله. ثم إن الله تعالى شرح صدري للشروع فيه، بعد أن خلصت النية في ذلك لله عز وجل رجاء الأجر على ذلك من الله عز وجل والمثوبة، ودعوت ضارعاً في التوفيق والمعونة، ورجوت أن يجازي الله على النية في تمامه إن حال قاطع دون ذلك، فشرعت فيه وبدأت بكتاب الوضوء من أول الديوان مسألة على الولاء"[٧٧].

هنا يذكر المؤلف المصاعب والمشقة التي واجهته في التأليف.

ثم قال: "أذكر المسألة على نصها، ثم أشرح من ألفاظها ما يفتقر إلى شرحه، وأبين من معانيها بالبسط لها ما يحتاج إلى بيانه وبسطه، وأحصل من أقاويل العلماء فيها ما يحتاج إلى تحصيله.... فأبين موضع الوفاق منها من موضع الخلاف، وأحصل الخلاف في الموضع الذي فيه منها الخلاف... وأوجه منها ما يحتاج إلى توجيه بالنظر الصحيح والرد إلى الأصول والقياس عليها... بيان كل ما تفتقر المسألة إليه، بكلام مبسوط واضح موجز يسبق إلى الفهم بأيسر تأمل وأدنى تدبر ورجوت على ذلك المثوبة من الله عز وجل، فأجهدت نفسي في التمادي على شرح بقيته حرصاً وإقبالاً، فتماديت لا آوى إلى راحة متى ما تفرغت من ليل أو نهار، فكلما أكملت منه كتاباً ازددت من التمادي على بقيته حرصاً وإقبالاً، فتماديت إلى أن أكملت رزمة الصلاة، ورزمة النكاح، ورزمة البيوع... فواليت من حينئذ في إكمال الكتاب إلى أن كمل بحمد الله تعالى وعونه في مستهل شهر ربيع الآخر من سنة سبع عشرة وخمسمائة. والله أسال المجازاة على ذلك برحمته"[٧٨] وما بعد ذلك من الكلام.

وهنا يتضح بسط المؤلف لمنهجه في التأليف وإن كان بسط فيه كثيرا وأسهب، ويُلحظ أيضا المشقة والمصاعب التي واجهته، حيث ذكر منها أنه تولى القضاء فترة

وأشغله ذلك كثيرا عن إتمام الكتاب فطلب الإعفاء وكان له ذلك.

ثم قال: "فاجتمع من ذلك تأليف مفيد ينتهي أزيد من خمسة وعشرين جزءاً سميته بكتاب المقدمات الممهدات لبناء ما اقتضه رسوم المدونة من الأحكام الشرعيات، والتحصيلات المحكمات لأمهات مسائلها المشكلات، إلا أنه كتاب لم يتخلص بعد، فإذا تخلص بعون الله تعالى ونقل من مسودته إن شاء الله تعالى، وجمعه الطالب إلى هذا الكتاب، حصل على معرفة ما لا يسع جهله من أصول الديانات وأصول الفقه، وعرف العلم من طريقه، وأخذه من بابه وسبيله، وأحكم رد الفرع إلى أصله، واستغنى بمعرفة ذلك كله عن الشيوخ في المشكلات، وحصل في درجة من يجب تقليده في النوازل المعضلات، ودخل في زمرة العلماء الذين أثنى الله تعالى عليهم في غير ما آية من كتابه ووعدهم فيه بترفيع الدرجات. والله تعالى أسأله التوفيق برحمته"[٧٩].

هنا يظهر عنصر من عناصر المقدمة المستحبة وهو تسمية كتاب المؤلف، ثم بعد ذلك أهمية كتابه ومكانته، وذكر موضوعه وختم ذلك بالدعاء المسمى بدعاء الختم. وهي مقدمة جميلة ومتوفر فيها عناصر المقدمة الجيدة متكاملة ولكن يظهر لي أنها طويلة جدا وبعض العناصر لا توجد فيها مثل التشهد وتسمية المؤلف نفسه والأعمال السابقة ونقدها وغير ذلك. لكن هذا لا يعني أنها غير جيدة فيكفيها أن عيوبها تعد عدا.

مثال٢: مقدمة كتاب الفواكه الدواني:

لأحمد بن غنيم بن سالم بن مهنا النفراوي، المتوفى سنة ١١٢٦هـ. وهو شرح لرسالة أبي زيد القيرواني في الفقه المالكي.

مقدمة الكتاب:

قال ﷺ: "بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله العظيم ذي الجلال والإكرام، المنان علينا بنعمة الإسلام، والمبين لنا معالم حدود الأحكام، مفرقا لنا فيه بين الحلال والحرام، وأشهد أن لا إله إلا الله، الواحد الأحد، الفرد الصمد الذي ليس لنهايته أمد، المنزه عن الصاحبة والشريك والولد، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدا عبده ورسوله من بختم النبوة والرسالة انفرد، ﷺ وعلى آله وأصحابه في كل أمد، وبعد"[٨٠].

يلاحظ هنا البسملة وتليها الحمدلة وتظهر فيها براعة الاستهلال واضحة من خلال هذه التحميدات المنتظمة، ثم التشهد وهو أول كتاب يواجهني فيه التشهد من

الكتب التي هي مدار الدراسة التطبيقية في هذا البحث، ثم الصلاة على النبي عليه الصلاة والسلام والآل والأصحاب ثم البعدية.

ثم قال: "فيقول العبد الحقير الضعيف، والمفتقر إلى مولاه القوي اللطيف، أحمد بن غنيم بن سالم النفراوي بلدا، الأزهري موطنا المالكي مذهبا، قد كثر اشتغال الناس برسالة الإمام أبي محمد الملقبة بباكورة السعد وبزبدة المذهب، لما ظهر في الخافقين من أثرها وبركتها، لأنها أول مختصر ظهر في المذهب بعد تفريع ابن الجلاب وكثرت الشراح عليها، ولم يكن يستغنى بواحد منها عن غيره، أردت أن أضع عليها شرحا مشتملا إن شاء الله بفضله العميم على ما يحتاج إليه، بحيث إن الشيخ أو الطالب يستغني به عند الاقتصار عليه وسميته: "الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني "وأسأل الله المنان بفضله أن يرزقني الإخلاص بوضعه ليكون موجبا للفوز لديه للقطع بعجزنا والعلم بأن الأمر منه وإليه، وسلكت فيه صنعة المزج ليسهل تناوله، فقلت مستعينا بالله إنه مفيض الخير والجود"[٨١].

هنا يظهر عناصر عدة للمقدمة في هذا الكلام اليسير فيتضح تسمية المؤلف لنفسه، وبيان موضوع كتابه وأهميته، والإلماح إلى الأعمال السابقة، ثم تسمية الكتاب وبعد ذلك يأتي دعاء الختم.

وهذه المقدمة على قصرها إلا أنها اشتملت على الرؤوس الثمانية للمقدمة واستوفتها الواجبة منها والمستحبة. وإن كان المؤلف ﷺ لم يذكر منهجه كاملا لربما كان ذلك لكونه شارحا لكتاب فيكون منهجه هو منهج الشارح.

مثال٣: الشرح الكبير للدردير:

لأبي البركات أحمد بن محمد العدوي، الشهير بالدردير المتوفى سنة ١٢٠١هـ. وهو شرح لمختصر خليل في الفقه المالكي.

من مقدمة الكتاب:

قال ﷺ: "بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد الله الذي فضل علماء الشريعة على من سواهم....والصلاة والسلام على النبي الأعظم والرسول الأكرم سيدنا محمد ﷺ، وعلى سائر إخوانه من النبيين والمرسلين وآله والصحابة والقرابة والتابعين وعلى سائر أئمة المجتهدين خصوصا الأربعة المجتهدين ومقتهديهم إلى يوم الدين، أما بعد"[٨٢].

يلاحظ هنا البسملة وتليها الحمدلة ثم الصلاة على النبي والآل والأصحاب ومن تبعهم ثم البعدية وهي من العناصر الضرورية في كتب التراث كما أسلفت.

ثم قال: "فيقول أفقر العباد إلى مولاه القدير أحمد بن محمد الدردير، هذا شرح مختصر على المختصر للإمام....خليل"[٨٣].

هنا يظهر عنصر آخر وهو تسمية المؤلف لنفسه وبيان موضوع كتابه.

ثم قال: "اقتصرت فيه على فتح معلقه، وتقييد مطلقة وعلى المعتمدة من أقوال أهل المذهب بحيث متى اقتصرت على قول كان هو الراجح الذي تجب به الفتوى وإن اعتمد بعض الشراح خلافه، وبالله تعالى أستعين وعليه أتوكل فإنه المولى الكريم الذي عليه المعول"[٨٤].

هنا يوضح المؤلف ﷺ منهجه في تأليف كتابه ويختم ذلك بالدعاء وهو دعاء الختم.

وهذه المقدمة توافرت فيها عناصر عدة للمقدمة، وافتقرت إلى عناصر أخرى منها التشهد والتبويب والأعمال السابقة إلى غير ذلك مما ذكر سابقا، وهذا لا يلغي أنها بالرغم من قصرها إلا أنها مشتملة على عناصر مهمة في المقدمة.

ثالثا: مقدمات في كتب الشافعية:

مثال١: مقدمة كتاب التنبيه:

لإبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي أبو إسحاق، المتوفى سنة ٤٧٦هـ. وهو كتاب مختصر في فقه الشافعية.

مقدمة الكتاب:

قال ﷺ: "بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله حق حمده، وصلاته على محمد خير خلقه وعلى آله وصحبه، هذا كتاب مختصر في أصول مذهب الشافعي رضي الله عنه إذا قرأه المبتدي وتصوره تنبه به على أكثر المسائل وإذا نظر فيه المنتهي تذكر به جميع الحوادث إن شاء الله تعالى وبه التوفيق وهو حسبي ونعم الوكيل وإياه أسأل أن ينفع به إنه قريب مجيب"[٨٥].

يتضح من خلال هذه المقدمة القصيرة أنه بدأ ﷺ بالبسملة ثم تلتها الحمدلة ثم الصلاة على رسول الله وعلى الآل والأصحاب، ثم تحدث ﷺ عن موضوع كتابه وبين أنه كتاب الفقه الشافعي، وبين منهجه المتسم بالاختصار ثم ختم بالدعاء.

وهي مقدمة جيدة فيها بعض عناصر المقدمة إلا أنها تخلوا من كثير من العناصر الأخرى مثل البعدية والتشهد والمنهج والتبويب والأعمال السابقة وإن كان ألمح إلى أهمية كتابه وشموله لكثير من المسائل التي يُحتاج إليها.

مثال٢: مقدمة كتاب المهذب:

لإبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي أبو إسحاق، المتوفى سنة ٤٧٦هـ. وهو كتاب في الفقه الشافعي شرحه النووي وغيره في كتاب المجموع.

مقدمة الكتاب:

قال ﷺ: "بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله الذي وفقنا لشكره وهدانا لذكره، وصلواته على محمد خير خلقه وعلى آله وصحبه"[٨٦].

يلاحظ في هذه المقدمة اكتفاؤه ﷺ بالبسملة ثم الحمدلة ثم الصلاة بأسلوب يميل أكثر إلى المباشرة في التعبير.

ثم قال: "هذا كتاب مهذب أذكر فيه إن شاء الله تعالى أصول مذهب الشافعي ﷺ بأدلتها وما تفرع على أصوله من المسائل المشكلة بعللها، وإلى الله عز وجل أرغب وإياه أسأل أن يوفقني فيه لمرضاته، وأن ينفعني به في الدنيا والآخرة إنه قريب مجيب وعلى ما يشاء قدير، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب وهو حسبي ونعم الوكيل".

هنا ذكر ﷺ اسم الكتاب وموضوعه وهو أصول المذهب بأدلتها مع الفروع عليها وعللها، ثم دعا دعاء الختم.

وهذه المقدمة مباشرة وينقصها كثير من العناصر الأساسية في المقدمة وإن كانت على قصرها اشتملت على عدة عناصر، ومما ينقصها مثلا التشهد والبعدية وبراعة الاستهلال ونقد الأعمال السابقة إن وجدت وغيرها من العناصر. وحين انتقد المقدمة وأظهر سلبياتها فذلك مما يظهر لي والله أعلم، فقد يكون اشتغال المؤلف بكتابة صلب الموضوع هو ما جعله لا يلتفت لأهمية المقدمة، وقد يكون ذلك العصر لم تتضح فيه بعد معالم المقدمة، فسنرى في المثال التالي للنووي ما يدل على هذا.

مثال٣: مقدمة كتاب منهاج الطالبين:

ليحيى بن شرف النووي أبو زكريا، المتوفى سنة ٦٧٦هـ. اختصره من «المحرر» للإمام الرافعي ﷺ وأضاف إليه مسائل مستجدات.

من مقدمة الكتاب:

قال ﷺ: "بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله البر الجواد، الذي جلت نعمه عن الإحصاء بالأعداد، المنان باللطف والإرشاد، الهادي إلى سبيل الرشاد، الموفق للتفقه في الدين من لطف به واختاره من العباد، أحمده أبلغ حمد وأكمله وأزكاه وأشمله،

وأشهد أن لا إله إلا الله الواحد الغفار وأشهد أن محمدا عبده ورسوله المصطفى المختار ﷺ وزاده فضلا وشرفا لديه أما بعد"[٨٧].

يظهر في بداية المقدمة هذه توفر العناصر المهمة في أي مقدمة، وهي البسملة ثم الحمدلة ثم التشهد ثم البعدية وتظهر براعة الاستهلال جلية عند النووي ﷺ فهو ينتقل من عنصر إلى آخر بجمال وبراعة ويشعر من يقرأ هذا الجزء اليسير من المقدمة بموضوع الكتاب من خلال الإشارة الذكية إلى التوفيق للتفقه في الدين.

ثم قال: "فإن الاشتغال بالعلم من أفضل الطاعات وأولى ما أنفقت فيه نفائس الأوقات، وقد أكثر أصحابنا رحمهم الله من التصنيف من المبسوطات والمختصرات، وأتقن مختصر المحرر للإمام أبي القاسم الرافعي رحمه الله تعالى ذي التحقيقات وهو كثير الفوائد عمدة في تحقيق المذهب معتمد للمفتي وغيره من أولى الرغبات وقد التزم مصنفه ﷺ أن ينص على ما صححه معظم الأصحاب ووفى بما التزمه وهو من أهم أو أهم المطلوبات لكن في حجمه كبر يعجز عن حقه أكثر أهل العصر إلا بعض أهل العنايات"[٨٨].

هنا يظهر عنصر أهمية العلم وطلبه، وبرع ﷺ في عنصر قد يعتبره البعض من العناصر المستحدثة في المقدمة وهو استيعاب الأعمال السابقة ونقدها، فبعد أن ذكر التصانيف في المذهب ذكر كتاب المحرر وبين مزاياه وأوضح المأخذ على هذا الكتاب الذي سيتلافاه في كتابه وهو كبر حجمه واتساع مسائله.

ثم قال: "فرأيت اختصاره في نحو نصف حجمه ليسهل حفظه مع ما ضمه إليه إن شاء الله تعالى من النفائس المستجدات. منها: التنبيه على قيود في بعض المسائل هي من الأصل محذوفات. ومنها: مواضع يسيرة ذكرها في المحرر على خلاف المختار في المذهب كما ستراها إن شاء الله تعالى واضحات. ومنها: إبدال ما كان من ألفاظه غريبا أو موهما خلاف الصواب بأوضح وأخصر منه بعبارات جليات. ومنها: بيان القولين والوجهين والطريقين والنص ومراتب الخلاف في جميع الحالات. فحيث أقول في الأظهر أو المشهور... وحيث أقول الأصح أو الصحيح فمن الوجهين أو الأوجه....وحيث أقول المذهب فمن الطريقين أو الطرق وحيث أقول النص فهو نص الشافعي ﷺ... وحيث أقول وفي قول كذا فالراجح خلافه. ومنها: مسائل نفيسة أضمها إليه ينبغي أن لا يخلي الكتاب منها....وما وجدته من زيادة لفظة ونحوها على ما في المحرر فاعتمدها فلا بد منها وكذا ما وجدته من الأذكار مخالفا لما في

المحرر وغيرة من كتب الفقه فاعتمده فإني حققته من كتب الحديث المعتمدة وقد أقدم بعض مسائل الفصل لمناسبة أو اختصار وربما قدمت فصلا للمناسبة....وعلى الله الكريم اعتمادي وإليه تفويضي واستنادي وأسأله النفع به لي ولسائر المسلمين ورضوان عني وعن أحبائي وجميع المؤمنين"[٨٩].

هنا يوضح ﷺ في معرض نقده للأعمال السابقة ما أضافه إليها وما تميز به كتابه من مستجدات عن كتاب المحرر. ثم بدأ يفصل ويوضح في منهجه في الكتاب بطريقة بديعة ومفيدة لقارئ المقدمة المستفيد من الكتاب حيث ذكر معاني المصطلحات المستخدمة في كتابه وما قدم وأخر وأضاف على كتاب المحرر. ثم ختم بالدعاء كما هي عادة المصنفين.

وهذه المقدمة في نظري تصلح أن تكون نموذجا للمقدمة المتكاملة العناصر، وإن لم يذكر المؤلف اسمه أو اسم كتابه فهي ليست من الأمور الواجبة في المقدمة. ولو اطلع عليها الباحثين لاستفادوا فائدة عظيمة، فهي تظهر مدى أهمية المقدمة في الكتاب ووظيفتها الأساسية.

رابعا: مقدمات في كتب الحنابلة:

مثال١: مقدمة كتاب مختصر الخرقي:

لأبي القاسم عمر بن الحسين بن عبد الله الخرقي، المتوفى سنة ٣٣٤هـ. وهو كتاب مختصر في فقه الإمام أحمد بن حنبل.

مقدمة الكتاب:

قال الخرقي ﷺ: "بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين، وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى آله الطاهرين وأصحابه المنتخبين وأزواجه أمهات المؤمنين"[٩٠].

يلاحظ في بداية هذه المقدمة أن المؤلف ﷺ بدأ بالبسملة ثم الحمدلة ثم الصلاة على النبي عليه الصلاة والسلام والآل وأمهات المؤمنين، ولم يذكر البعدية وعباراته على الرغم من إيجازها إلا أن فيها براعة الاستهلال من خلال انتظامها وسجعها بطريقة غير متكلفة.

ثم قال: "قال الشيخ أبو القاسم عمر بن الحسين بن عبد الله الخرقي ﷺ: اختصرت هذا الكتاب على مذهب الإمام أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل رضي الله عنه ليقرب على متعلمه مؤملا من الله عز وجل الثواب وإياه اسأل التوفيق

للصواب"[٩١].

يظهر هنا تسمية المؤلف وبيان منهجه وهو الاختصار على مذهب أحمد بن حنبل، وسبب تأليفه للكتاب وهو التيسير على متعلم المذهب، ثم ختم بالدعاء.

وهذه المقدمة رغم قصرها إلا أنها اشتملت على عناصر عديدة للمقدمة وهذا يظهر براعة السابقين ﷺ في التأليف، وإن لم تتوفر فيها عناصر أخرى للمقدمة ولعل الداعي لذلك –في نظري– هو طبيعة الكتاب نفسه حيث اتسم بالاختصار والله أعلم، ولعله كما ذكرت سابقا لم تكن معالم المقدمة قد اكتملت في هذا العصر.

مثال٢: مقدمة كتاب العدة:

لعبد الرحمن بن إبراهيم بن أحمد، أبو محمد بهاء الدين المقدسي، المتوفى سنة ٦٢٤هـ. وهو شرح لكتاب العمدة لموفق الدين ابن قدامة، في الفقه الحنبلي.

مقدمة الكتاب:

قال ﷺ: "بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله ذي الفضل والنعم والجود والكرم ﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ(٥)﴾[٩٢] وأطلعه على غوامض الحكم، أحمده على ما علم وألهم وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة مبرأة من التهم، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله المحترم أرسله إلى العرب والعجم، وجعل أمته خير الأمم وهدى به إلى الطريق الأقوم صلى الله عليه وعلى آله وشرف وعظم وكرم، وبعد"[٩٣].

يظهر من خلا هذه المقدمة البدء بالبسملة ثم الحمدلة ثم التشهد ثم الصلاة على النبي ﷺ ثم البعدية، وقد صاغها بعبارات جميلة مسجوعة تظهر فيها براعة الاستهلال.

ثم قال: "فهذا شرح كتاب العمدة لشيخنا الإمام أبي محمد عبد الله بن أحمد المقدسي ﷺ رتبته مختصرا ليكون عدة لي في الحياة وذخيرة بعد الوفاة، وإلى سبحانه الرغبة أن يجعله لوجهه خالصا وإليه مقربا إنه على كل شيء قدير وهو حسبنا ونعم الوكيل"[٩٤].

يلاحظ في هذا الجزء من المقدمة أن المؤلف يبين سبب تأليف الكتاب وموضوعه ويبين أنه شرح للعمدة، ثم يبين أنه ينهج الاختصار في ترتيبه ويختم بالدعاء.

وهذه المقدمة على قصرها إلا أنها شملت غالب الرؤوس الثمانية المهمة في

المقدمة وإن نقصها تسمية المؤلف لنفسه ولكتابه وترتيب الكتاب والأعمال السابقة إن وجدت. إلا أنها على قصرها مصاغة بأسلوب سلس جميل.

مثال٣: مقدمة كتاب كشاف القناع عن متن الإقناع:

لمنصور بن يونس بن إدريس البهوتي، المتوفى سنة ١٠٥١هـ. وهو شرح كما هو مبين من عنوانه لكتاب الإقناع للحجاوي في الفقه الحنبلي.

من مقدمة الكتاب:

قال البهوتي ﷺ: "بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله الذي شرح صدورنا بالهداية إلى الإسلام، ووفقنا للتفقه في الدين وما شرعه من بديع محكم الأحكام، أحمده سبحانه وتعالى على جزيل الإنعام، وأشكره أن علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم فأتقن وأحكم أي إحكام وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ذو الجلال والإكرام، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدا عبده ورسوله المبعوث رحمة للأنام، والهادي إلى سواء الصراط وإيضاح الحلال والحرام –صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الكرام– صلاة وسلاما دائمين لا يعتريهما نقص ولا انثلام، أما بعد:"[٩٥].

يلاحظ هنا في هذه المقدمة الابتداء بالبسملة ثم الحمدلة ثم التشهد والصلاة والسلام على الرسول الكريم والآل والأصحاب ثم البعدية. وتظهر أيضا براعة الاستهلال وانتقاء الألفاظ.

ثم قال: "فإن أجل العلوم قدرا، وأعلاها فخرا، وأبلغها فضيلة، وأنجحها وسيلة، علم الشرع الشريف ومعرفة أحكامه، والاطلاع على سر حلاله وحرامه، فلذلك تعينت إعانة قاصده وتيسير موارده لرائده، ومعاونته على تذكار لفظه ومعانيه، وفهم عباراته ومبانيه"[٩٦].

هنا يوضح المؤلف أهمية علم الفقه ومن خلاله يتضح موضوع الكتاب، ويذكر طرفا من سبب التأليف.

ثم قال: "ولما رأيت الكتاب الموسوم بالإقناع تأليف الشيخ....شرف الدين أبي النجا موسى بن أحمد بن سالم بن عيسى بن سالم المقدمي الحجاوي....يحتاج إلى شرح يسفر عن وجوه محذراته النقاب، ويبرز من خفي مكنوناته بما وراء الحجاب، فاستخرت الله تعالى وشمرت عن ساعد الاجتهاد،... وكنت أود لو رأيت لي سابقا أكون وراءه مصليا، ولم أكن في حلبة رهانه مجليا، إذ لست لذلك كفؤا بلا مرا والفهم لقصوره يقدم رجلا ويؤخر أخرى، وسألت الله أن يمدني بذارف لطفه ووافر عطفه"[٩٧].

هنا يبين المؤلف ﷺ سبب التأليف ويعرف بكتابه الذي هو شرح للإقناع، وهنا يبين عدم وجود أعمال سابقة له في شرح الكتاب، ويعترف بالعجز والقصور عن الكمال.

ثم قال: "وسميته (كشاف القناع عن الإقناع)... ومزجته بشرحه حتى صارا كالشيء الواحد لا يميز بينهما إلا صاحب بصر أو بصيرة... وتتبعت أصوله التي أخذ منها كالمقنع والمحرر والفروع والمستوعب وما تيسر الإطلاع عليه من شروح تلك الكتب وحواشيها، كالشرح الكبير والمبدع والإنصاف وغيرها مما من الله تعالى بالوقوف عليه كما ستراه، خصوصا شرح المنتهى والمبدع، فتعويلي في الغالب عليهما، وربما عزوت بعض الأقوال لقائلها خروجا من عهدتها. وذكرت ما أهمله من القيود، وغالب علل الأحكام وأدلتها على طريق الاختصار غير المردود وبينت المعتمد من المواضع التي تعارض كلامه فيها، وما خالف فيه المنتهى متعرضا لذكر الخلاف فيها ليعلم مستند كل منهما..... ويحضر بقلبه أن الإنسان محل النسيان، وأن الصفح عن عثرات الضعاف من شيم الأشراف، وأن الحسنات يذهبن السيئات وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب"[٩٨].

وهنا يظهر عنصر من عناصر المقدمة قديما وحديثا وهو تسمية الكتاب، ثم يذكر الكتب التي استفاد منها، ويبين منهجه في التأليف والشرح، ثم يختم بالاعتراف بالتقصير مجددا لأنه بشر يعترضه النسيان والزلل، ثم الدعاء كخاتمة لمقدمته.

وهذه مقدمة فيها غالب العناصر الأساسية وأسلوبها مصاغ بطريقة بلاغية جميلة، وإن لم يذكر المؤلف مثلا اسمه، ولكنها في نظري متكاملة العناصر.

الخاتمـــة:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وأسأل الله سبحانه وتعالى كما يسر لي إتمام هذا البحث في مقدمات كتب الفقه، وأعانني عليه أن يجعله خالصا لوجهه الكريم، وأن يجعله نافعا ويسهم ولو بالقليل في هذا المجال.

وختاما هذا ملخص لأبرز النتائج التي توصلت إليها:

١. أن المقدمة نوعان: مقدمة علم ومقدمة كتاب.

٢. أن هناك أمور واجبة وأمور مستحبة في مقدمة الكتاب فالواجبة هي: البسملة. والحمدلة. والصلاة على الرسول ﷺ، والتشهد. والمستحبة هي: تسمية المؤلف نفسه. وتسمية كتابه. وبراعة الاستهلال. والبعدية.

٣. أن المقدمات الحديثة اشتملت على عناصر للمقدمة مثل: الأعمال السابقة

والتصميم وأهمية الموضوع والمنهج.

٤. أن المقدمات القديمة اشتملت على عناصر المقدمات الحديثة وإن وجدت فيها عفوا.

التوصيات:

- أقترح أن يهتم الباحثون أكثر بدراسة مقدمات الكتب وخاصة كتب الفقه.

- وأن يكون هناك تعاون بين أقسام الأدب والبلاغة وبين قسم الفقه في هذا المجال حتى يتكامل الموضوع من جميع جوانبه.

هذا ما وفقني الله لكتابته، وأسأل الله أن يتقبل ما قدمت وأن ينفع به، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين. والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وآله وصحبه أجمعين.

هوامش البحث:

[١]- يراجع: البحث العلمي حقيقته، ومصادره، عبد العزيز الربيعة، ٨/٢.

[٢]- يراجع: مقدمة الكتاب في التراث الإسلامي وهاجس الإبداع، عباس أرحيلة، ص٦٨.

[٣]- لسان العرب، لابن منظور، مادة (قدم)،٣٥٥٣/٥.

[٤]- أبجد العلوم، للقنوجي، ١٩٩/١.

[٥]- يراجع: المرجع السابق، ٢٠١/١.

[٦]- عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ: كبير أئمة الأدب،. مولده ووفاته في البصرة، ولد سنة ١٦٣هـ. فلج في آخر عمره. وكان مشوه الخلقة. ومات والكتاب على صدره. قتلته مجلدات من الكتب وقعت عليه. له تصانيف كثيرة، منها: "الحيوان- ط " أربعة مجلدات، و" البيان والتبيين- ط "، توفي سنة ٢٥٥هـ. ينظر: الأعلام، للزركلي، ٧٤/٥.

[٧]- محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الخوارزمي الزمخشري، جار الله، أبو القاسم، من أئمة العلم في اللغة والآداب. ولد في زمخشر (من قرى خوارزم) سنة ٤٦٧هـ. وسافر إلى مكة فجاور بها زمنا فلقب بجار الله. وتنقل في البلدان، ثم عاد إلى الجرجانية (من قرى خوارزم) فتوفى فيها سنة ٥٣٨هـ. أشهر كتبه: (أساس البلاغة- ط) و (المفصل- ط) ومن كتبه (المقامات- ط). ينظر: الأعلام، ١٧٨/٧.

[٨]- مقدمة الكتاب في التراث الإسلامي وهاجس الإبداع، ص٦٦.

[٩]- يراجع: البحث العلمي، ٢/ ٩.

[١٠]- النووي، ٨/١.

[١١]- مقدمة الكتاب في التراث الإسلامي وهاجس الإبداع، ص٦٠. نقلا لكلام علي بن خلف الكاتب.

[١٢]- يراجع: كتابة البحث العلمي، ومصادر الدراسات الفقهية، عبد الوهاب أبو سليمان، ص١٩٦.

[١٣]- البحث العلمي، ٨/٢- ٩.

[١٤]- للتعرف على خلاصة الكتاب طالع موقع الكاتب والمفكر عباس أرحيلة على شبكة الانترنت، الصفحة الخاصة بالكتاب، http://rhilaabas.jeeran.com
[١٥]- مقدمة الكتاب في التراث الإسلامي وهاجس الإبداع، ص٨.
[١٦]- المرجع السابق، ص٦١.
[١٧]- ينظر: تعليق د. حسن المودن على كتاب عباس أرحيلة السابق، موقع عباس أرحيلة.
[١٨]- يراجع: صبح الأعشى، القلقشندي، ٢١٠/٦ وما بعدها، تفريغ شرح ملحة الإعراب، موقع ملتقى أهل الحديث، http://www.ahlalhdeeth.com/vb/showthread.php?t=١٩٩٤٦٨
[١٩]- لسان العرب، مادة (بسمل)، ٢٨٦/١.
[٢٠]- سورة النمل، آية ٣٠.
[٢١]- أحكام القرآن، للقرطبي، ١٩١/١٣.
[٢٢]- رواه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب قوله تعالى: {قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم}، حديث رقم(٤٢٧٨). ومسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب كتاب النبي ﷺ إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام، حديث رقم(١٧٧٣).
[٢٣]- مقدمة الكتاب في التراث الإسلامي وهاجس الإبداع، ص٨٦.
[٢٤]- يراجع: صبح الأعشى، ٢١٢/٦، درة الغوا صفي أوهام الخواص، للحريري، ٢٤٥/١.
[٢٥]- يراجع: تاج العروس، للحسيني، مادة (حمدل)، ٣٤٠/٢٨.
[٢٦]- ينظر: حقيقة الحمدلة في ديباجة الكتاب، موقع المفكر والكاتب المغربي عباس أرحيلة.
[٢٧]- صبح الأعشى، ٢١٦/٦.
[٢٨]- يراجع: الصواعق المرسلة، ابن القيم، ٤ / ١٤٧٩.
[٢٩]- يراجع: الصناعتين الكتابة والشعر، العسكري، ص٤٣٧.
[٣٠]- عبد الحميد الكاتب: عبد الحميد بن يحيى بن سعد مولى بني عامر بن لؤي بن غالب، الكاتب البليغ المشهور؛ وبه يضرب المثل في البلاغة، حتى قيل فتحت الرسائل بعبد الحميد، وختمت بابن العميد. ومجموع رسائله مقدار ألف ورقة. وهو أول من أطال الرسائل واستعمل التحميدات في فصول الكتب، توفي سنة ١٣٢هـ. ينظر: وفيات الأعيان، ابن خلكان، ٢٢٨/٣.
[٣١]- يراجع: صبح الأعشى، ٢١٦/٦، حقيقة الحمدلة في ديباجة الكتاب ، الموقع السابق.
[٣٢]- البيان والتبيين، ص٢١٥.
[٣٣]- سورة الأحزاب، آية ٥٦.
[٣٤]- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، ص٦٧١.
[٣٥]- ينظر: الصلاة على النبي ﷺ في ديباجة الكتاب، موقع المفكر عباس أرحيلة.
[٣٦]- هارون الرشيد: الخليفة، أبو جعفر هارون، بن المهدي محمد، بن المنصور أبي جعفر عبد الله، ابن محمد، بن علي، بن عبد الله بن عباس الهاشمي العباسي، كان مولده بالري في سنة ١٤٨ هـ، من أنبل الخلفاء، وأحشم الملوك، ذا حج وجهاد، وغزو وشجاعة، ورأي، كان يحب العلماء، ويعظم حرمات الدين، قال أبو معاوية الضرير: ما ذكرت النبي ﷺ بين يدي الرشيد إلا قال: صلى الله على سيدي، له فتوحات ومواقف مشهودة، ومنها فتح مدينة هرقلة (مدينة في الروم)، ومات غازيا بخراسان، وقبره بمدينة طوس، عاش ٤٥ سنة، توفي سنة ١٩٣ هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، ٢٨٦/٩- ٢٩٠.
[٣٧]- يراجع: الأوائل، العسكري، ص٨١.
[٣٨]- يراجع: لسان العرب، مادة (شهد)، ٢٣٨/٣.

[٣٩]- صبح الأعشى، ٢١٧/٦.
[٤٠]- يراجع: مقدمة الكتاب في التراث الإسلامي وهاجس الإبداع، ص١١٦.
[٤١]- المرجع السابق، ص١٠٥.
[٤٢]- يراجع: مختصر المعاني، التفتازاني،٢٩٧/١، الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني، ص٣٩٢، خزانة الأدب وغاية الأرب، الحموي، ٣٠/١.
[٤٣]- إعراب القرآن وبيانه، محي الدين درويش، ١٨/١.
[٤٤]- يراجع : خزانة الأدب وغاية الأرب، ٤٠/١.
[٤٥]- يراجع: خصائص الخطبة والخطيب، نذير كتبي، ص٥٦.
[٤٦]- سورة النازعات، آية ١٥.
[٤٧]- مقال بعنوان "تأملات حول سورة طه"، محمد العبادي، موقع ملتقى أهل الحديث.
[٤٨]- مفاتيح الغيب، الرازي، ٢٦/ ١٦٥.
[٤٩]- مقدمة الكتاب في التراث الإسلامي وهاجس الإبداع، ص٩٩.
[٥٠]- يراجع: المفصل في صنعة الإعراب، الزمخشري، ص٤٤٣.
[٥١]- سورة ص، آية ٢٠.
[٥٢]- العسكري، ص١٥٩.
[٥٣]- يراجع: خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، البغدادي، ٣٩٦/١٠.
[٥٤]- ياقوت الحموي، ٧/١.
[٥٥]- السمعاني، ١٨/١.
[٥٦]- القنوجي، ٨٧/١.
[٥٧]- الغزالي، ٤/١.
[٥٨]- ابن الجوزي، ٢٦/١.
[٥٩]- القرطبي، ٦/١.
[٦٠]- يراجع: مقدمة الكتاب في التراث الإسلامي وهاجس الإبداع، ص٨٤- ١٢٧.
[٦١]- يراجع: كتابة البحث العلمي، ص١٩٦-١٩٧، البحث العلمي، ٩/٢- ١٩.
[٦٢]- كيف تكتب بحثا أو رسالة، أحمد شلبي، ص١٣٤.
[٦٣]- ص١٥.
[٦٤]- ص١٥.
[٦٥]- ص١٥.
[٦٦]- ٧/١.
[٦٧]- سورة البقرة: آية ٢٦٩.
[٦٨]- ٧/١-٨.
[٦٩]- ٨/١ و ما بعدها.
[٧٠]- ٨/١ و ما بعدها.
[٧١]- ١/ ٨ وما بعدها.
[٧٢]- ٢/١.
[٧٣]- ٢/١-٣.
[٧٤]- ١/ ٢-٣.
[٧٥]- ٢٥/١-٢٦.

[٧٦]- ١/٢٦-٢٧.
[٧٧]- ١/٢٧-٢٩.
[٧٨]- ١/٢٩-٣٠.
[٧٩]- ١/٣٢.
[٨٠]- ١/٧.
[٨١]- ١/٧.
[٨٢]- ١/٤-٥.
[٨٣]- ١/٥.
[٨٤]- ١/٥-٦.
[٨٥]- ١/١١.
[٨٦]- ١/٨. مع شرحه المجموع.
[٨٧]- ص٦٣.
[٨٨]- ص٦٤.
[٨٩]- ص٦٥-٦٦.
[٩٠]- ص١٠.
[٩١]- ص١٠.
[٩٢]- سورة العلق: الآيتان ٤-٥.
[٩٣]- ١/١١.
[٩٤]- ١/١١.
[٩٥]- ١/٢.
[٩٦]- ١/٢.
[٩٧]- ١/٢.
[٩٨]- ١/٢.

المصادر والمراجع

١. **أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم**، لصديق بن حسن القنوجي، تحقيق: عبد الجبار زكار، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٩٧٨م.

٢. **إعراب القرآن وبيانه**، محي الدين الدرويش، دار الإرشاد . سورية.

٣. **الأعلام**، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي(ت١٣٩٦هـ)، دار العلم للملايين، ط١٥، ٢٠٠٢م.

٤. **الأنساب**، أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني (ت ٥٦٢هـ)،تقديم وتعليق: عبد الله عمر البارودي، دار الجنان - بيروت، ط١، ١٤٠٨ هـ.

٥. **الأوائل**، أبوهلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن يحيى بن مهران العسكري، (ت٣٩٥ هـ)، دار البشير- طنطا، ط١، ١٤٠٨ هـ.

٦. **الإيضاح في علوم البلاغة**، للخطيب القزويني، تحقيق: الشيخ بهيج غزاوي، دار إحياء العلوم- بيروت، ١٤١٩هـ.

٧. **البحث العلمي، حقيقته، ومصادره، ومادته، ومناهجه، وكتابته، وطباعته، ومناقشته**، د. عبد العزيز بن عبد الرحمن الربيعة، حقوق الطبع محفوظة للمؤلف، ط٥، ١٤٣١هـ.

٨.**بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع**، علاء الدين أبي بكر بن مسعود الكاساني (ت٥٨٧هـ)، دار الكتاب العربي– بيروت، ١٩٨٢م.
٩.**البيان والتبيين**، أبو عثمان عمرو بن بحر، تحقيق: المحامي فوزي عطوي، دار صعب – بيروت، ط١، ١٩٦٨م.
١٠.**البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل في مسائل المستخرجة**، لأبي الوليد ابن رشد القرطبي (ت٥٢٠هـ)، تحقيق: محمد حجي، دار الغرب الإسلامي – بيروت، ط٢، ١٤٠٨هـ.
١١.**تاج العروس من جواهر القاموس**، لمحمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني،الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، الناشر دار الهداية.
١٢.**تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ.
١٣.**الجامع لأحكام القرآن**، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت٦٧١ هـ)، تحقيق: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب– الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٣هـ.
١٤.**خزانة الأدب وغاية الأرب**، تقي الدين أبي بكر علي بن عبد الله الحموي الأزراري، تحقيق: عصام شعيتو، دار ومكتبة الهلال – بيروت،ط١، ١٩٨٧م.
١٥.**خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب**، عبد القادر بن عمر البغدادي (ت١٠٩٣هـ)، تحقيق: محمد نبيل طريفي، اميل بديع اليعقوب، دار الكتب العلمية– بيروت، ١٩٩٨م.
١٦.**خصائص الخطبة والخطيب**، نذير محمد كتبي، دار البشائر الإسلامية، ط٢، ١٤٢٢هـ.
١٧.**درة الغوا صفي أوهام الخواص**، للقاسم بن علي الحريري(ت٥١٦هـ)، تحقيق: عرفات مطرجي، مؤسسة الكتب الثقافية– بيروت، ١٤١٨هـ.
١٨.**سير أعلام النبلاء**، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨ هـ)، أشرف على تحقيق الكتاب وخرج أحاديثه: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة– بيروت،ط٩، ١٤١٣هـ.
١٩.**الشرح الكبير على مختصر خليل**، أحمد بن محمد بن أحمد بن أبي حامد العدوي المالكي، الشهير بالدردير(ت ١٢٠١ هـ)، دار الفكر _ بيروت.
٢٠.**صبح الأعشى في صناعة الإنشا**، لأحمد بن علي القلقشندي، تحقيق: د. يوسف علي طويل، دار الفكر – دمشق، ط١٩٨٧،١م.
٢١.**صحيح البخاري**، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير– دمشق–بيروت.
٢٢.**صحيح مسلم**، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية.
٢٣. **صفة الصفوة**، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، المعروف بابن الجوزي، تحقيق: محمود فاخوري – د. محمد رواس قلعه جي، دار المعرفة – بيروت، ط٢، ١٣٩٩هـ.
٢٤.**الصناعتين الكتابة والشعر**، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، تحقيق: علي محمد البجاوي،ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية– بيروت، ١٤٠٦هـ.
٢٥.**الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة**، لمحمد بن أبي بكر أيوب الزرعي، المعروف بابن قيم الجوزية، تحقيق: د. علي بن محمد الدخيل الله، دار العاصمة – الرياض، ط٣، ١٤١٨هـ.
٢٦.**العدة شرح العمدة**،عبد الرحمن بن إبراهيم بن أحمد، أبو محمد بهاء الدين المقدسي (ت٦٢٤هـ)، تحقيق: صلاح بن محمد عويضة، دار الكتب العلمية– بيروت، ط٢، ١٤٢٦هـ.

٢٧.**الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني**، أحمد بن غنيم بن سالم النفراوي (ت١١٢٦هـ)، عناية وتخريج: عبد الوارث محمد علي، دار الكتب العلمية- بيروت،ط١، ١٤١٨هـ.
٢٨. **كتابة البحث العلمي، ومصادر الدراسات الفقهية**، د. عبد الوهاب أبو سليمان، دار الشروق- جدة، ط٥، ١٤٢٩هـ.
٢٩.**كشاف القناع عن متن الإقناع**، منصور بن يونس بن إدريس البهوتي، (ت١٠٥١هـ)، تحقيق: هلال مصيلحي ومصطفى هلال، دار الفكر – بيروت، ط١، ١٤٠٢هـ.
٣٠.**كيف تكتب بحثا أو رسالة**، أحمد شلبي، مكتبة النهضة المصرية، ط٥، ١٩٦٦م.
٣١.**لسان العرب**، لابن منظور، تحقيق: عبد الله علي الكبير + محمد أحمد حسب الله + هاشم محمد الشاذلي، دار المعارف_ القاهرة.
٣٢.**المبسوط للسرخسي**، شمس الدين أبو بكر محمد بن أبي سهل السرخسي، دراسة وتحقيق: خليل محي الدين الميس، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع- بيروت، ط١٤٢١،١هـ.
٣٣.**متن الخرقى على مذهب أبي عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني**، أبو القاسم عمر بن الحسين بن عبد الله الخرقي (ت٣٣٤هـ)، دار الصحابة للتراث- طنطا، ط١، ١٤١٣هـ.
٣٤.**المجموع شرح المهذب**، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت٦٧٦هـ)،تحقيق: محمد نجيب المطيعي، دار عام الكتب- الرياض، ط١، ١٤٢٣هـ.
٣٥.**مختصر الطحاوي**، للإمام أبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي الحنفي (ت٣٢١هـ)، تحقيق: أبو الوفاء الأفغاني، لجنة إحياء المعارف النعمانية- حيدر أباد.
٣٦.**مختصر المعاني**، سعد الدين التفتا زاني، دار الفكر، ط١، ١٤١١هـ.
٣٧. **المستصفى في علم الأصول**، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤١٣هـ.
٣٨.**معجم البلدان**، ياقوت الحموي(ت ٦٢٦هـ)، دار إحياء التراث.
٣٩.**مفاتيح الغيب**، الإمام فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، دار الكتب العلمية – بيروت،ط١، ١٤٢١هـ.
٤٠.**المفصل في صنعة الإعراب**، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت ٥٣٨هـ)، تحقيق: د. علي بو ملحم، مكتبة الهلال – بيروت، ط١، ١٩٩٣م.
٤١.**مقدمة الكتاب في التراث الإسلامي وهاجس الإبداع**، عباس أرحيلة، المطبعة والوراقة الوطنية – مراكش، ط١، ٢٠٠٣م.
٤٢.**منهاج الطالبين وعمدة المفتين**، يحيى بن شرف النووي أبو زكريا(ت ٦٧٦هـ)، عني به: محمد محمد طاهر شعبان، دار المنهاج- بيروت،ط١، ١٤٢٦هـ.
٤٣.**المهذب**، إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي أبو إسحاق(ت ٤٧٦هـ)، مطبوع مع شرحه المجموع، تحقيق: محمد نجيب المطيعي، دار عام الكتب- الرياض، ط١، ١٤٢٣هـ.
٤٤. **موقع الكاتب والمفكر عباس أرحيلة**، http://rhilaabas.jeeran.com
٤٥. **موقع ملتقى أهل الحديث**، http://www.ahlalhdeeth.com
٤٦.**وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر – بيروت.